

تفسير أبي السعود

وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنه قيل ماذا يصنعون في عباداتهم أوكيف يعبدون فقيل يسبحون ألخ أحوال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى لا يفترون أي لا يتخلل تسبيحهم فترة أصلا بفراغ أو بشغل آخر أم اتخذوا آلهة حكاية لجناية أخرى من جنائياتهم بطريق الإضراب والانتقال من فن إلى فن آخر من التوبيخ إثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وأنهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وأن عباده مدعون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون له عن كل مالا يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها الأنداد ومعنى الهمزة في أم المنقطعة إنكار الواقع وقوله تعالى من الأرض متعلق باتخذوا أو بمحذوف هو صفة لآلهة وأيا ما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى هم ينشرون أي يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذي يدور عليه الإنكار والتجهيل والتشنيع لانفس الإخذ فإنه واقع لا محالة أي بل اتخذوا آلهة من الأرض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فإن ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم وإن لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الإلهية فكأنهم ادعوا لها الإنشاء ضرورة أنه من الخصائص الإلهية حتما ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما أشير إليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للإنشاء الموجبة لمزيد الإنكار كما في قوله تعالى أفي لا شك وقوله تعالى أبا لا وآياته ورسوله كنتم تستهزئون فإن تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة أمره تعالى لأن يشك فيه ويستهزأ به ويجوز أن يجعل ذلك من مستنبعات ادعائهم الباطل لأن الألوهية مقتضية للاستقلال بالإبداء والإعادة فحيث ادعوا للأصنام الإلهية فكأنهم ادعوا لها الاستقلال بالإنشاء كما أنهم جعلوا بذلك مدعين لأصل الإنشاء لو كان فيهما آلهة إلا لا إبطال لتعدد الإله بإقامة البرهان على انتفائه بل على استحالة وإيراد الجمع لوروده إثر إنكار إتخاذ الآلهة لا لأن للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما وإلا بمعنى غير على أنها صفة لآلهة ولا مساع للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وإفضائه إلى فساد المعنى لدلالته حينئذ على أن الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البديل لأنه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب أي لو كان في السموات والأرض آلهة غير إلا كما هو اعتقادهم الباطل لفستأ أي لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة أن الإلهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الإطلاق تغييرا وتبيلا وإيجادا وإعداما وإحياء وإماتة فبقاؤهما على ما هما عليه إما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلة متعددة وإما بتأثير واحد

منها فالبواقي بمعزل من الإلهية قطعاً واعلم أن جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما أنه
اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما وإلا فالبرهان يقضى باستحالة التعدد على الإطلاق فإنه
لو تعدد الإله فإن توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وإن تخالفت